سينما

فلّ مفترس في «السين»

تقنيات وخطابية وأداء مُبالغ فيه

فيلم فرنسي جديد تبثّه المنصة الأميركية نتفليكس، يروي حكاية سمكة قرش تجتاح نهر السين الباريسي، فتُثير صراعات ومواجهات وخراباً ودماً ومطاردات

نديم جرجوره

مراراً، يجهد سينمائيون فرنسيون في إيجاد معادل محلي لسينما أميركية، ترتكز على مفردات التشويق والحركة والتجسّس والأمن، تحديداً. تقاليد هوليوود غير متلائمة والثقافة السينمائية الفرنسية، رغم نجاحات تُذكَر في صُنع أفلام تشويق وحركة أحياناً، وللتجسّس والأمن حيّزٌ، يتّخذ من الشاشة الصغيرة أيضاً وسيلة اشتغال.

مسألةٌ كهذه محتاجة إلى قراءة أوسع وأعمق، وإلى تحليل غير مكتفٍ بعموميات. «تحت السين» (2024، نتفليكس)، للفرنسي كزافييه جون، دليلٌ على هذا: اختيار موضوع راسخ في ذاكرة جماعية، والبناء عليه لصُنع فيلم يتماهى بأفلام الموضوع هذا: «الفكّ المفترِس» (سمك القرش)، ينتقل من محيطات أميركية إلى نهر فرنسي، مع التزام شبه صارم بمتطلّباتٍ أساسية يصعب (أيكون الأمر مستحيلاً؟) التغاضي عنها، أو عدم تلبيتها كلّها. التشويق ركنٌ. نواة، كالفكّ المفترس. سمكة القرش، وجوانب عدّة تكون امتداداً للنواة: نفوذ سياسي (مصالح سياسية. انتخابية)، حاجة سياحية، إيحاء بنقدٍ يتناول أحوال عامة، والفيلم الفرنسيّ معنيٌّ ببيئة وطبيعة وتحوّلاتهما، عملٌ فردي (وإنْ يُغلَّف بفعلٍ جماعي، مُخفّف عدده) يواجه آلة سياسة وأمن وسياحة، والأخيرة مرتبطة بأعمال وأموال ومصالح يُراد لها تحقيق رغباتها، وإنْ بغلبة الناس التوّاقين إلى سياحةٍ ومتعةٍ وراحة.

مع كزافيه جون، هناك ألعاب رياضية مندرجة في «أولمبياد» دولي، والألعاب الأولمبية ستُقام أساساً في فرنسا بين 26 يوليو/ تموز و11 أغسطس/آب 2024. في «تحت السين»، هناك سباق في رياضة Triathlon (نظام رياضي مؤلّف من ثلاثة أنواع متتالية: السباحة وركوب الدرّاجات الهوائية والركض)، في النهر الباريسي المشهور. لكنّ اكتشاف سمكة قرش تتجوّل فيه يبدِّل كلّ شيءٍ تقريباً، باستثناء إصرار سياسي، موزّع على منافع سياحية وانتخابية ومالية وإعلامية. دعائية، يؤدّي إلى كمٍّ هائل من الخراب والموت. أما البداية، فمنبثقةٌ من بحث فريق علمي. تقني عن سمكة قرش، في بقعة غارقة في تلوّثٍ لا مثيل له، وسبّاحو الفريق يُقتلون بهجومٍ مباغت لسمكة كهذه في قعر محيط. هذا كافٍ لإصابة صوفيا أسالاس (بيرينس بيجو) بقهر وألم وانكفاء (أحدّ السبّاحين العلماء متزوّج إياها).

التشويق والحركة معطوفان على نوع من رعب، تتميّز به أفلام هذه الفئة السينمائية. وحدها سمكة القرش، بفكّها المفترس، تُثير رعباً، إنْ تُصوَّر بلقطات مقرّبة وكبيرة، في عمق المياه، أو عند خروجها منه عالياً، والتصوير متناسبٌ وتضخيم الحجم، لمزيدٍ من إثارة وتشويق ورعب وهلع. أحياناً، يُشكَّل اختفاؤها في عتمة البحار رعباً، تُضاعفه موسيقى مناسبة لحالةٍ كهذه. لكنّ الرعب غير فاعل، فاعتياد الفئة السينمائية تلك كفيلٌ بتخفيف حدّة الهلع، خاصة أنّ «تحت السين» مليء بما يُتيح إطلاق توقّعات جمّة في المقبل من أحداثٍ ولقطات أخرى. «الفك المفترس (Jaws)»، الذي يُخرجه الأميركي ستيفن سبيلبيرغ عام 1975، يبقى الأهمّ والأجمل والأفضل سينمائياً وجمالياً ودرامياً. كأنّه تأسيسٌ لتلك الفئة، فغالبية اللاحق عليه أقلّ أهمية، وإنْ تلتزم نتاجات لاحقةٌ عليه قواعد الفئة ومتطلّباتها.

> أهناك موقف إزاء أهوال العالم أم مجرّد تقليد لهوليوود؟

تقنياً، يُنفَّذ «تحت السين» بإتقان، تشوبه أخطاء قليلة، كأنْ تنكشف أعمال الكمبيوتر والمؤثّرات البصرية من دون إخفاء بصماتها. أمّا التمثيل، فعاديّ، وأحياناً يُصبح مبالغاً به، خاصة في لحظات السخرية من سياسيين وأعوانهم، والسخرية كاريكاتورية بمعناها المسطّح لا المُضحك. وأيضاً في ذاك الخطاب البيئي، إذْ تتفوّق ليا لِفيان (الناشطة ميكا) على المبالغة برمّتها، في أكثر من لقطة، خاصة في خطاب التوعية الموجَّه إلى العالم، والمكتوب بلغة جافة وغير مؤثّرة ومفتعلة ومُضجرة. اختيار انقلابات العالم، خاصة البيئية، مُبرّر في أفلام، يُظنّ لوهلةٍ أنّ لصانعيها موقفاً أخلاقياً. ثقافياً إزاء أهوال الناتج منها. هذا طبيعي ومألوف. السينما قولٌ أيضاً، لكنْ يُفترض به أنْ يكون سينمائياً لا خطابياً فقط. مشاهدة «تحت السين» تُثير تساؤلاً: أصحيح أنّ لكزافيه جون موقفاً أخلاقياً. ثقافياً؟ أمْ أنّ فيلمه هذا محاولة إثباتٍ لـ«براعة» فرنسية في اشتغال نوع. فئة أميركية، وإنْ بالاستعانة بمفرداتها وأدواتها، أو ببعض تلك المفردات والأدوات على الأقلّ؟

كزافييه جون مخرج «تحت السين»: تقليدٌ هوليوودي بإتقان مقبول (مارك بياسيكي/Getty)

عن شيارا ووالديها ماستروياني ودونوف

كريستوف أونوري: هناك عنف باختزال المرء بالبنوّة

باريس ـ **العربي الجديد**

جديد الفرنسي كريستوف أونوري (1970) روائيّ طويل (120 دقيقة) بعنوان Marcello Mio، يغوص في فصولٍ من سيرة المغنية والممثلة الفرنسية شيارا ماستروياني، ابنة مارتشيلو ماستروياني وكاترين دونوف: في صيفٍ مضطرب، تجد شيارا نفسها في خضم أزمة هوية. اقتناعاً منها بوجوب عيش حياة والدها، تتبنّى أسلوبه في الملابس، وحديثه وإيماءاته، بتصميم لا يتزعزع. تحوّلها هذا لافتٌ للانتباه، إلى درجة أنّ من حولها يخلطون بينها وبين والدها، فينادونها باسمه الأول.

بمناسبة إطلاق عروضه التجارية الفرنسية في 22 مايو/أيار 2024، بعد أول عرض دولي له في مسابقة الدورة الـ77 (14 . 25 مايو/ أيار 2024) لمهرجان «كانّ» السينمائي، تنشر «بروميير» (مجلة سينمائية شهرية فرنسية)، في عددها الأخير (يونيو/ حزيران 2024)، حواراً مع أونوري، يبدأ بسؤال تييري شيز عن كيفية ولادة الفكرة: «أصل الفيلم وواقع أنّه يُمكن تحقيقه يرتكزان على تواطؤ مصنوع بيني وبين شيارا، منذ تعاوننا الأول في «أغنيات الحبّ (Les Chansons D'Amour)»، قبل 17 عاماً. كما يفعل سينمائيون كثيرون، لديّ رغبة في إنجاز فيلم عن السينما، من دون أن يكون عن تصوير فيلم. ما يهمّني أن أحاول الإحاطة بالهوية المتميّزة جداً لممثّل أو ممثلة في السينما». يُضيف أونوري أنّ شيارا ستكون «العينة الخاصة» به، أي النموذج الأصلي للفكرة والفيلم. يعترف أنّه منذ زمنٍ يحلم بتحقيق فيلم عنها، وعن علاقتها بالسينما، كما عن بنوّتها. يقول إنّه يتحقّق من واقع مفاده أنّه، بعد كلّ فيلم لهما معاً، تُجرى حوارات معها، وبدءاً منَ السؤال الثاني، «يبدأ الحديث عن والديها». يقول أيضاً إنّ لديها ظُرفاً وسخرية في الردّ على هذا النوع من الأسئلة: «متمكّن أنا من رؤية العنف الذي يمكن لهذا أنْ يمثّله: أي أنْ يُختَزل المرء كلّ مرة بالبنوّة. في هذه الحالة، الطريقة مزدوجة. غريزياً، لشيارا ميلٌ إلى محو ذاتها، كي تختفي بشكل جيد. ذات يوم، أقول لنفسي: ماذا لو أنّها تفعل العكس؟ ماذا لو تُعيد إحياء والدها عبرها؟».

إذاً، أموافقة هي سريعاً على هذه الفكرة؟ «عند اتصالي بها، أخبرها أنّي راغبٌ في أن يكون فيلمي المقبل معها. لم أفكّر بأنّها ستدعني أطوّر فكرتي. تُجيب بـ«نعم» مباشرة، وتضيف: «سيكون مُضحكاً جداً». أستطيع القول إنّها هي مانحة الفيلم نغمته، تلك الخاصة بالكوميديا، مع فتاة تفرض على الآخرين جنونها». وهذا، بحدّ ذاته، يُشكّل عمل كلّ ممثل في التصوير، كما يقول أونوري: «(أي) التماهي بالشخصية التي سيؤدّيها».

يرى أونوري أنّ هذه طريقة جيدة في الحديث عن السينما والممثلين: «هناك شعور بمعرفة من هو مارتشيلو ماستروياني عبر أفلامه، علماً أنّه عارفٌ دائماً كيفية الالتفاف والتحايل، كي لا يتحدّث أبداً عن حياته الخاصة. هذا الفيلم حالمٌ وعابقٌ بالسينما». رغم هذا، يعترف أونوري بأنّ «سينيفيليّته» غير متشكّلة بفضل ممثلين، بل سينمائيين. يقول إنّ شقيقه الأكبر يلتهم «استديو» و«بروميير»، بينما يصف نفسه بأنّه، حينها، «شرير» العائلة، ولهذا يغرق في «دفاتر السينما» (ثلاث مجلاّت سينمائية شهرية فرنسية. المحرّر).

> لدى شيارا ميلٌ غريزي إلى محو ذاتها كي تختفي بشكل جيد

كريستوف اونوري: الفيلم حالمٌ وعابقٌ بالسينما (Venturelli/Wirelmage)

أفلام جديدة

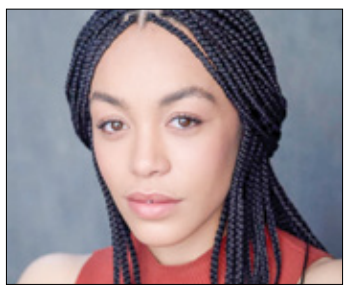

■ No Way Up لكلوديو فاي، تمثيل صوفي ماك إنتوش (IMDb) وويل أتنبوروه: تتوقّف طائرة ركّاب بشكل خطر وفجائي، قرب حافة وادٍ عميق، فيُحاصر الركّاب الناجون وفريق عملها في جيب هوائي. ينضب مخزون الهواء سريعاً، فيبدأ صراع مروّع من أجل البقاء على قيد الحياة، بينما تنتظرهم مخاطر جمّة من الجوانب كلّها.

■ Downton Abbey: A New Era لسيمون كورتيس، تمثيل هيو بونفيل وإليزابيث ماك غوفرن (Getty): تستعدّ عائلة كراولي للاحتفال بزفافين في Downton Abbey، أحدهما خاصّ بتوم برانسون وخطيبته لوسي. لكنّ مخرجاً هوليودياً يريد تحويل المنزل إلى موقع تصوير. في الوقت نفسه، ترث السيدة فيوليت فيلا، تقع في جنوب فرنسا، فتطلب من أفراد عائلتها الذهاب معها إلى الكوت دازور، بحثاً عن ماضيها الغامض.

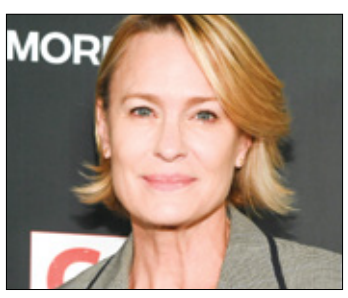

■ Here لروبرت زيميكس، تمثيل توم هانكس وروبن رايت (Getty): على مرّ العصور واختلاف الحالات والأمزجة والظروف والوقائع، تشهد غرفة فريدة من نوعها في إنكلترا أحداثاً عدّة، إذ سيُقيم فيها كثيرون ينتمون إلى بيئات اجتماعية مختلفة، ولديهم قناعات وأهواء ورغبات متنوّعة.

«حرارة» مُجدّداً: تحية لـ«عرّاب» كوبولا

في الآونة الأخيرة، تتكاثر تعليقات أجنبية وعربية في فيسبوك، تتناول «حرارة (Heat)» لمايكل مان (1995). تُنشَر لقطات قليلة منه أيضاً، معظمها مرتبطٌ باللقاء المشهور بين الخصمين، الملازم فانسنت هانا (آل باتشينو) ونيل ماك كولي (روبرت دي نيرو)، في مطعم «كايت مانتيليني» (1987 . 2014)، في بيفرلي هيلز (لوس أنجليس). لقطات أخرى، أبرزها خروج ماك كولي وكريس شيهڤليس (فال كيلمر) من آخر مصرف يسرقانه، مع صديقيهما مايكل شيريتّو (الراحل توم سيزيمور)، المنتظر إياهما في سيارة الهروب، غير الظاهرة في الصورة تلك. هذا غير مرتبط بذكرى مرور 30 عاماً على إنجازه. لكنّ الفيلم، المعروض حالياً في شاشات تلفزيونية، مُثير لمتعة مُشاهدة وتحليل وتعليق، ومشهد اللقاء لحظة درامية تمتلك جمالية بصرية، وعمقاً في حوار بين محقّقٍ ولصّ مصارف، يجهد في عدم القتل. لقاء يُكشف شيئاً من ذات كلّ منهما، ومن تفكيره ومشاغله وانفعالاته، بصدقٍ وشفافية، يُضيف الأداء إليهما جمالاً ومُهارةً وعفوية وبراعة، كأنّ كلّ واحدٍ منهما يرى في الآخر، ضمناً، كاهن اعتراف له، فكلّ واحد يحتاج، وإنْ خفية، إلى بَوح. هانا مُعجبٌ بماك كولي، وهذا يُثير ابتسامةً غير مفهومة للأخير (أتكون خجولة أم ساخرة؟ تصعب معرفة ذلك. لكنّ تباهياً بالذات يتّضح بفضل جمالية أداء دي نيرو). البوح، مبطّناً أو مفتوحاً على ما يختزل ثقلاً مزمناً فيهما، يتحوّل إلى مرايا ذات وروح وتفكير وشعور، إذْ يبقى اللقاء وحيداً، واللاحق عليه مسارٌ إلى خاتمةٍ معلّقةٍ وغير متوقّعة، ففي تعابيرهما شيءٌ من غموض مسار ومصير. مُشاهدات لاحقة للفيلم لن تحول دون متعة تأمّل في تفاصيله وحميميته وبوحه.

رغم هذا، تغيب حقيقة، يعترف بها مايكل مان بقوله إنّه قاصدٌ تصوير اللقاء بالطريقة الظاهر فيها: كاميرا تُصوّر واحداً منهما من دون الآخر، ما يعني أنّ الدقائق كلّها للّقاء. المشهد غير ملتقطةٍ إياهما معاً، ولو لثوانٍ. سبب ذلك؟ تحية لـ«العرّاب 2» (1974) لفرنسيس فورد كوبولا، الذي يُشاركان فيه من دون لقطة واحدة تجمعهما معاً، لاستحالة ذلك: فدي نيرو يؤدّي دور فيتو كورليوني في بدايات هجرته إلى أميركا وتأسيسه العائلة المافياوية، وباتشينو سيكون مايكل، ابنه في أعوام قيادته إياها. تحية رائعة مشغولة بحِرفية وبهاء سينمائيين أروع.

نديم...